

81 - السيدة زينب بنت مضعون



المهاجرة زوجة أمير المؤمنين

اسمها زينب، والدها مضعون بن حبيب بن وهب وإخوتها عثمان، وقدامة، وعبد الله أبناء مضعون، تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فولدت له عبد الله بن عمر الصحابي الجليل، وحفصة بنت عمر إحدى أمهات المؤمنين، وعبد الرحمن.

هاجرت مع ابنتها حفصة بنت عمر رضي الله عنه إلى المدينة، وكان إخوتها الثلاثة مع ابن أخيها السائب بن عثمان من مهاجرة الحبشة رضي الله عنه.

وتمت هجرة الصحابة سرّاً وفي غفلة من قريش ورقبائها، إلا ما كان من هجرة زوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد جاء قريشاً في ناديها، وأخبرهم بهجرته، وتحدى من يعترض سبيله بالقتل، فما قام خلفه أحد، ويروى أن عمر قال حين أسلم أبياتاً ذكرها ابن هشام في سيرته، منها:

الحمد لله ذي المنّ الذي وجبت له علينا أيا ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى
وقد ندمت على ما كان من زلل
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها
فقلت: أشهد أن الله خالقنا
نبي صدق أتى بالحق من ثقة

لَهُ عَلَيْنَا أَيَادٍ مَا لَهَا غَيْرُ
صِدْقِ الْحَدِيثِ نَبِيِّ عِنْدَهُ الْخَبْرُ
رَبِّ عَشِيَّةٍ قَالُوا: قَدْ صَبَا عُمَرُ
بِظُلْمِهَا حِينَ تَتَلَى عِنْدَهَا السُّورُ
وَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِهَا عَجَلَانَ يَبْتَدِرُ
فَكَادَ تَسْبِقُنِي مِنْ عَبْرَةٍ دُرُّ
وَأَنَّ أَحْمَدَ فِينَا الْيَوْمَ مُشْتَهَرُ
وَإِنِّي الْأَمَانَةُ مَا فِي عُوْدِهِ خَدْرُ

محبة النبي ﷺ لأسرتها

وكان أبو السائب عثمان بن مظعون رضي الله عنه أخو زينب رضي الله عنها رجلاً شهماً ألباً، وكان في مكة يروح ويغدو في جوار الوليد بن المغيرة، فلما رأى ما يلاقه أصحابه من الشدة والبلاء، وهو يروح ويغدو آمناً لم يعجبه ذلك، فقال: والله إن عُذْوِي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في سبيل الله ما لا يصيبني لَنَقْصُ كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد وقال له: يا أبا عبد شمس، وفث ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له الوليد: لِمَ يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي؟ فقال عثمان: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره، قال الوليد: هيا إلى المسجد فاردد عليّ جوارِي علانية، كما أجرتك علانية.

وهناك قال الوليد للناس: هذا عثمان جاء يرد عليّ جوارِي، قال عثمان: صدق، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار، ولكنني قد أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره؛ ثم انصرف عثمان.

وفيما كان الشاعر لبيد بن ربيعة ينشد قريشاً سمعه عثمان يقول:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فقال عثمان: صدقت، وتابع لبيد إنشاده، فقال:

وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

فقال عثمان: كذبت، نعم الجنة لا يزول، فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يُؤذِي جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟ فقام رجل من القوم فضرب عثمان فأذى عينه، وكان الوليد حاضراً فقال: أما والله يا ابن أخي، قد كانت عينك غنية عما أصابها، وكنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في سبيل الله، وإنني لفي جوار من هو أعزُّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس.

ولما مات عثمان أكبَّ رسول الله ﷺ على وجهه يقبله ويبكي فقد كان له محببًا، وعلى فراقه حزينًا.

لقد عاشت زينب في أسرة أبيّة كريمة في أهلها، ثم كانت في أسرة عزيزة وفيّة، راعيتها إمام العدل عمر رضي الله عنه الذي أعزَّ الله به الإسلام، بعد دعوة خير الأنام، عليه الصلاة والسلام، رحم الله زينب، وشكر سعيها.

